الباب السادس

قصص لها معنى

تقديم : بقلم سامى عباس خميس

١ - قصص لها معنى

٢ - العصا لا تعيد الهيبه لمن فقدها

٣ - تعليق مختصر حول تطوير مكة المشرفة

٤ - ديون البنوك

٥ - الشاطره تغزل

٦ - دنيا الناس

٧ - رحلة البشر

٨ - الإعلام العربى والانتفاضه

«الاثنين والدنيا» مجلة أسبوعية تصدر عن دار الهلال، توقف صدورها منذ فترة بعيدة، وكانت المجلة تضم بين دفتيها العديد من الموضوعات الشيقة والقصص الهادفة المرحة، وكنت شغوفًا وحريصا على متابعتها والاطلاع على محتوياتها، فالقراءة لجيلنا تعتبر الثقافة والتسلية فى ذلك الزمن الجميل، زمن الشباب الذى ولى ومضى وترك لنا نبض الذكرى والذكريات مرسومًا ومطبوعاً على صفحات الذاكرة، ولا أنسى قصتين كتبهما الأديب الراحل «وليم باسيلى» بـ «الاثنين والدنيا»، وأذكر تفاصيلها حية نابضة وتتداعى معانيها وأحداثها كلما قابلت موقف مشابها، أو صادفنى ما يقاربها من الأحداث والمعانى.

قطار الترقيات

القصة الأولى: بطلاها صديقان، وهى تصور لنا أسلوبهما فى الحياة وأفكارهما وقيمهما وتأثير كل واحد منهما على الآخر، فقد زار الصديق الأول صديقه الثانى «الموظف» فى مقر ومكان عمله.

والذى لفت انتباهه وأيقظ حواسه أن مكتب صديقه «الموظف» نظيف وخال من المعاملات والأوراق، فسأل صديقه القابع خلف مكتبه مستنكرا ومتعجبًا: «هل إدراتك ومديروك لا يعترفون بك كموظف منتج وعامل؟» فرد صديقه بعلامة الاستفهام: «لماذا»؟

«السبب يا صديقى أننى لا أرى أى أوراق أو معاملات رسمية مرسلة إليك للبت فيها وإنجازها»، فرد صديقه عليه بفخر وتعالى: «لقد وصلت المعاملات وأنجزتها وأرسلتها إلى الجهات المعنية.. هذا هو أسلوبى وطريقتى فى العمل.. لا أحب تأخير المعاملات أو إهمالها أو إلقاءها فوق مكتبى».. فرد عليه صديقه منزعجًا وثائراً: «إذاً، ستظل فى مكانك مجمداً ـ محلك سر ـ وسيفوتك قطار الترقيات والصعود إلى أعلى، فرد الصديق «الموظف» متسائلاً: «إذاً ما العمل؟ وبماذا تنصح وتشير على؟ «فأجابه: «المفروض يا صديقى أنك إذا تسلمت المعاملات اليومية والأوراق الرسمية

المطلوب إنجازها، أن تنجز منها معاملة أو معاملتين على الأكثر، وتترك باقى المعاملات الأخرى جاثمة على مكتبك، فرد الصديق «الموظف»: «ولماذا أبقيها إذا كنت قادراً على إنجازها والانتهاء منها؟ «فرد صديقه عليه غاضبًا: «أنت لا تفهم اللعبة؟ أبقيها على مكتبك لأجل أن تترقى وتصعد إلى أعلى السلم الوظيفى»..

وأردف قائلاً: «نفذ ما أطلبه منك ودع المعاملات تتراكم وتتكاثر وتجثم فوق مكتبك، واجعل المتضررين يرفعوا شكواهم لمديرك، وسيأتى إليك المفتشون والمراقبون تباعًا فتشكو أنت من كثرة المعاملات ومن ضغوط العمل وكثرة المراجعين وتراكم المعاملات، وتطالبهم بضرورة تزويدكم بعدد من الموظفين لمساعدتك فى إنجاز وإتمام المعاملات المتراكمة. من تلك الساعة سيتحول مكتبك الصغير المتواضع إلى «شعبة»، وبعد ذلك إلى «قسم»، «فإدارة»، والإدارة تكبر وتصبح إدارة عامة، وأنت تصبح مديراً عامًا..!، فقال الصديق الموظف معقبًا: «أحلام أحلام.. وتمنيات خيالية وخطة غير واقعية، ورغم ذلك سأنفذ التعلميات والسيناريو والخطة وسنرى ماذا يحدث..؟ وبعد بضع سنوات من حوار الصديقين: زار الأول صديقه «الموظف» فى مكتبه الفخم مكتب المدير العام مباركًا ومهنئاً.

ولا أعرف إذا كان هذا السيناريو حدث فعلاً أم هو فى خيال الكاتب.. وهل يتكرر ما حدث ونعيش نفس الأحداث ويتطابق السيناريو مع الواقع المعاصر؟ أسئلة كثيرة وتساؤلات أكثر فأين الحقيقة؟!..

« لابسين مزيكة!»

القصة الثانية: يتمحور مضمونها حول متاعب إنسان عادى بسيط يبحث عن معاملة له حولت لإحدى الإدارات الحكومية، وظل المسكين صاعدًا ونازلاً باحثًا منقبًا عن معاملته ماذا تم فيها ، وماذا كتب عليها، وإلى ماذا انتهت إليه.. أسئلة حائرة وتساؤلات كثيرة جالت بخاطره وقد سألها لمجموعة الموظفين والعاملين الذين راجعهم ومر بهم ولا أحد يعرف ولا أحد يجيب. كأن المعاملة أمراً محيراً، والكل لا يعرف عنها شيئًا قليلاً أو كثيراً، حتى ملأ اليأس قلبه وهدَّ التعب كيانه، وفى نهاية المطاف التقى بموظف فى تلك الإدارة يبدو عليه ومن خلال حديثه وردوده إطلاعه

الواسع على خبايا الإدارة والمعاملات الواردة إليها والخارجة منها، فقد أفاده وأجابه على كل تساؤلاته وما تم فى معاملته، وشرح له جميع التأشيرات والشروحات، وأبان له ما أتخذ حيالها من قرارات إيجابية، الأمر الذى أثلج صدره وأعاد الاطمئنان إلى نفسه. وعند عودته من رحلته لتلك الإدارة سرد معاناته وحكى قصته لصديق مقرب إليه، وطلب منه تفسيراً لما لقيه من معاناة وتعب، وعدم المبالاة التى وجدها عند أغلبية موظفى تلك الإدارة.. ولكن صديقه أرجأ الرد إلى ما بعد حضورهم لسماع حفلة موسيقية وأثناء السماع والمشاهدة لاحظ الصديق المدعو أن عدد الموسيقيين والعازفين على خشبة المسرح ضخم جدا، ولكن المدهش والعجيب والمستغرب أن الصوت المنبعث من منطقة واحدة منطقة الوسط، هكذا علق الصديق المدعو، فرد الداعى على تلك الملاحظة بأن هذا هو ما أردت توضيحه لك وإطلاعك عليه، بصورة أخرى، بالحضور والمشاهدة والسماع.

فالعازفون الحقيقيون هم الذين يتمركزون فى وسط المسرح، أما باقى أفراد الفرقة فلا يُعرف عنهم شىء ويطلق عليهم «لابسين مزيكة»،ومعنى ذلك أنهم لا يعزفون، بل يحركون أيديهم وآلاتهم ا لموسيقية بصورة آلية وأداء تمثيلى، والمتعهد للحفل جمعهم وألبسهم ملابس العازفين لزيادة أعداد أفراد الفرقة الموسيقية.. وكلما زاد العدد زاد وارتفع الدخل والإيراد. فعلق الصديق المدعو مازحًا، إذاً أنت تربط بين ما شاهدناه على المسرح وبين ما نشاهده فى الواقع الحياتى، بمعنى أن كثيراً من المجاميع البشرية على مسرح الحياة صورتهم تماثل ما نشاهده الآن على المسرح الموسيقى.

الأغلبية «لابسين مزيكة» وقليل هم العازفون الحقيقيون.. وقد رد الصديق عليه: «أرجوك افهمنى.. ما قصدته كانت هى قصة «وليم باسيلى».. إننا نشاهد ونعيش مسرحية «البطالة المقنعة»، وهذه هى الحياة.. مسرح كبير ولكل منا دوره..وعلينا الانتظار إلى أن يقفل الستار وتظهر كلمة النهاية».

العصا لا تعيد الهيبة لمن فقدها

الصديق رجاء أحمد جمال أشهر سيفه على مسؤولى التعليم فى بلادنا وحملهم مسؤولية وزر زيادة أعداد المعتدين من الطلاب على مدرسيهم والتى وصل عددها إلى ٩٧ حالة اعتداء خلال هذا العام، وطالب الصديق رجاء فى ختام مقاله بضرورة عودة الهيبة للمدارس وبعودة العصا، والتى يعتقد جازمًا أنها هى التى ستعيد الهيبة المفقودة.

أقول للصديق رجاء جمال ما هكذا تورد الإبل، وعودة العصا لا يمكن أن تعيد الهيبة للمدارس التي فقدت هيبتها. والأصل فى الموضوع أن نبحث أموراً عديدة ونتقصى حقائق ربما غابت عنه، لابد أن نبحث أولاً عن أصل المشكلة وجذورها ومسبباتها. ولماذا وصلنا إلى هذا الوضع، ولا بد لنا أن نحدد حالات الاعتداء متى حدثت وكيف حدثت وأين حدثت فى أى المدارس وفى أى المدن وفى أى منطقة ومعرفة مسببات وخلفية الاعتداء وتفاصيله بصورة فردية، ولابد من تشخيص كل حالة على حدة ومن ثم دراسة التشخيص لكل حالة بمفردها لتتعرف على ظروف ومسببات كل حالة ثم نقوم بتجميع الحالات المتقاربة والمتشابهة وأسبابها وظروفها وملابساتها وأماكن حدوثها من خلال التحليل الشامل والتفصيلى والتشخيص الموضوعى لكل الحالات فبذلك نكون قد وضعنا أيدينا على جوهر المشكلة وبالتالى يمكن للمتخصصين ولأهل العلم والفهم أن يضعوا الحلول الجذرية المناسبة لكل حالة فبذلك يمكن لنا تفادى حدوث مثيلاتها وعدم تكرارها مستقبلاً، وهذا هو الأسلوب الحضارى العلمى أما التعميم واصدار الأحكام الجزافية الفردية واعتبار حكمنا هو الاصح والأفضل والناجح ونقرر على ضوئه ما يجب أن يحدث أو يتم أو ينفذ هذا الرأى الفردى يمثل خطراً لأنفسنا ولذواتنا، ويجعل كل حامل قلم يقرر ويصدر أحكامه المطلقة ويشهر سيفه علينا. المشكلة التى أطرحها للنقاش والحوار الجاد تنحصر فى ثلاثة أبعاد وعناصر مهمة:

أولاً: الأسرة والبيت فعليهم يقع العبء والدور البارز والمهم فى القيام بواجباتهم

الأسرية نحو تربية وتهذيب الأبناء والبنات وردعهم وتقويم اعوجاجهم أو انحرافهم والأسرة هى اللبنه الأولى والأساس العظيم فى المجتمع وعليها تقع المسؤولية الأولى والأخيرة فى تقويم مسار أفراد الأسرة ولكن الملاحظ أن الأب تخلى عن دوره القيادى وظل يلهث خلف المال وتحصيله والأم مع الأسف تركت مسؤولية التربية والقدوة الصالحة للخادمة والمربية وصبت اهتمامها على الموضة وأسبابها والأبناء والبنات وجدوا الساحة خالية فلا مرشد أو موجه أو معين فاعتمدوا على افكارهم وآراءالخلان وأصدقاء وصديقات السوء نتيجة تخلي الأب والأم عن دورهم ومسؤولياتهم تجاه فلذات الأكباد (فضاعت الطاسة).

ثانيا: المدرسة وكانت فى السابق تساعد وتقوم بدورها التربوى والتوجيهى ونظراً لتزايد أعداد الطلاب والطالبات فى الفصل الدراسى والذى يفوق الأربعين طالبًا أو طالبة فالمدرس والمدرسة مع الإعداد الهائلة لا يمكن أن يوفق بين التدريس والتوجيه، صحيح أننا فى حاضرنا المعاصر نفتقد المدير الفذ أو الشخصية القوية والربان المهيمن والمسيطر بفهم وحب واقتدار لعمله وواجبه تجاه أبنائه وإخوانه الطلاب.

ثالثا: المجتمع بكل فئاته وطبقاته، وأفراده تخلى عن دوره التوجيهى والإرشادى فقد كان الأب أى أب يعتبر أبناءه وأبناء الآخرين فى الحى والجيرة هم بمثابة أبنائه وأخوانه وكان الكل يبادر بأداء دوره التوجيهى والإرشادى ولا أحد يعترض أو يعارض وفى الوقت الحاضر الصورة تغيرت والأوضاع انقلبت. فى الزمن الجميل الماضى والكل عاصر مديرين أجلاء يشار إليهم بالبنان لقوة شخصياتهم ولعلمهم الجم ولقدراتهم الإدارية والأخلاقية والسلوكية والتربوية ففرضوا أحترامهم وهيبتهم على الجميع صغيراً وكبيراً طالبًا ومدرسًا ولا زلت أذكر منهم المربى الجليل السيد إسحاق عزوز رحمه الله مدير مدارس الفلاح بمكة وقد حضرته فى بداية حياتى المدرسية بمدرسة الفلاح وكانت المدرسة تضم الأقسام الدراسية الثلاثة الابتدائى والمتوسط والثانوى، وكان إذا مر مروراً خفت الأصوات وتلاشت ووقف الجميع تقديراً واحترامًا.. الشخصية الثانية المربى القدير الأستاذ محمد فدا.. مدير عام مدارس الثغر رحمه الله وقد حضرته آخر مرحلة دراسية لى وكان يفرض هيبته واحترامه وشخصيته على الجميع مدرسين وطلابًا ولم يكن يحمل عصا بل كان

يحمل بين جنبيه أبوة صادقة وشخصية قوية فذة وقدرات تربوية خلاقة يجملها بالوعي والفهم لدوره ومسؤوليته.

هذه هي الصورة التي أعرفها وأجسدها بكل أبعادها وجوانبها وعلى علماء التربية وعلم النفس والاجتماع ورجال التعليم أن يدرسوا المشكلة ويشخصوا العلة والمرض ويضعوا الحلول الناجعة، أما العصا فلا يمكن لها أن تعيد الهيبة لمن فقد الهيبة والاحترام والقدوة. والله من وراء القصد..

تعليق مختصر حول تطوير مكة المشرفة

تعليقًا على المقالات الأربعة المتتابعة التى سطرها الأستاذ محمد صلاح الدين فى زاويته «الفلك يدور» وحول تطوير مكة المشرفة شرفها الله وحفظ أهلها من كل سوء فالتطوير فى نظرى يعبر ويسلك مسارات متعددة أهمها المسار التخطيطى وهو ما يعرف ويطلق عليه «علم تخطيط المدن» وهو علم ودراسة منهجية قائمة بذاتها وتدرس فى كليات الهندسة ولا يفتى فيها إلا أصحاب العلم المهنى والدراسة المنهجية مع ضرورة الأخذ فى الاعتبار كل الأفكار والإراء المطروحة للنقاش على صفحات الجرائد لاستخلاص الجيد والصالح منها.

وعلى ضوء تلك القناعة استعرض اهم النقاط فى هذا المسار وغيره من المسارات:

١- أن يتم تطوير مكة المشرفة لتصبح بحق أم المدن والمدائن بما شرفها الله وعظم مكانتها واختارها مكانًا معظمًا ومكرمًا «لبيته العظيم» ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص].

٢- المحافظة على الأماكن المباركة والمعالم التاريخية العظيمة بمكة المشرفة والتى كان يرتادها الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلم وإحاطتها بالعناية والابراز والتكريم ولتكون معالم بارزة ومزارات عظيمة لمهد الرسالة الإسلامية دون الخوف والهلع من تصرفات الجهلة والعامة.

٣- أن يحافظ التطوير العمراني على الشكل والطراز الإسلامى المتميز والذى افتقدناه من المرحلة الأولى وفيما سبق تحقيقه فلم نحصل ونشاهد إلا ابراجًا اسمنتية زجاجية شاهقة يمكن لنا أن نراها وتقابلنا فى أى مدينة من مدن العالم.

٤- من زار مدينة طليطلة الأسبانية وبعض مدن الاندلس يلاحظ محافظة تلك المدن على الشخصية الإسلامية التى بناها الاجداد العظام وقد حرصت الإدارة الأسبانية المشرفه على تلك المدن اعتزازا بالحضارة الإسلامية الابقاء على الشكل والاطار الإسلامى.

فعندما مشيت وتحركت فى شوارع طليطلة شعرت وعشت لحظات ذكرتنى بشوارع وأزقة المدينة المنورة القديمة ببيوتها ونوافذها المغطاة بستائر تسمى الكبريته وأبوابها الخشبية التى تغلق بالضبة والمفتاح هذا ما تتمناه ونرنو إليه ونتطلع نحوه وهو الابقاء والمحافظة على التراث والصورة القديمة ولكن بشكلها المتطور والحديث.

٥- ويمكن أن ندخل ضمن الخطة التطويرية لمكة المكرمة نظام مترو الانفاق وهو أسلوب تقنى متطور ينقل المصلين والمعتمرين والحجاج من ساحات الوصول ومن أماكن السكن البعيدة إلى الحرم الشريف فى دقائق وبالتالى الاستغناء عن خدمة السيارات أو التقليل منها والتى تكاثرت بصورة ملحوظة وأدت إلى زيادة الارتباك والفوضى والازدحام الشديد. ومترو الأنفاق أسلوب حضارى يختصر الوقت ويساعد على التقليل من هدم الدور والمبانى لتوسيع الشوارع لاستخدامات السيارات.

٦- وإذا افترضنا جدلاً أن الخطة التطويرية لمكة المشرفة أخذت فى الاعتبار أسلوب استخدام مترو الأنفاق فلابد أن تضيف إليه خدمة جديدة واستخداماً آخر وهو نقل الحجاج إلى منى ومزدلفة وعرفة لأداء الشعائر فنكون بذلك قد أسهمنا فى جعل أداء فريضة الحج يتم بسهولة ويسر ودون كثير من معوقات السير التى قد تسببها السيارات وتزاحمها وكذلك نساعد على تخفيف حركة السير على كافة الطرقات.

٧- كما يمكن ربط الأسواق التجارية فى الخطة التطويرية بمسارات ومداخل ومخارج الطرق الموصلة للحرم الشريف بعد اغلاق الشوارع والطرقات أمام السيارات والحافلات وتخصيصها وجعلها للمشاة من أهل مكة والحجاج والمعتمرين فنروج لحركة الاقتصاد والتجارة وندفعها للرقى والتقدم والانتعاش.

٨- أصدر أمير منطقة مكة المكرمة خلال الأيام الماضية قراراً بتشكيل لجنة تهتم بتطوير النواحى الصحية وخدماتها لسكان مكة ومن حولها وهذا قرار حكيم وسنرى نتائجه بعد انتهاء اللجنة المكونة لهذا الغرض من اجتماعاتها ووضع

مقترحاتها وأفكارها موضوع التنفيذ لجميع الجوانب الصحية وخدماتها وبهذا نكون وضعنا مكة وأهلها وزوارها على الطريق الصحيح فى مجال الخدمات والرعاية الصحية.

٩- ونحن نتنظر من الأمير الجليل أمير منطقة مكة أن يصدر قراراً مماثلاً بانشاء لجنة أو هيئة لتطوير وتأهيل وتوطين العلم والعلماء بمكة المشرفة والحرم الشريف، يسهم فيها أبناء مكة فى المقام الاول فى مهام التدريس بالحرم الشريف والإمامة وغيرها من أعمال الإشراف وخدمة الحرم وأهله وزواره الكرام.

١٠- النقطة الأخيرة أن تسعى الهيئة العليا لتطوير مكة إلى دعوة كل من يرغب من المكاتب الهندسية المؤهلة لتخطيط وتطوير المدن فى العالم العربى والإسلامى للاشتراك والمساهمة فى تطوير وتنظيم والرقى والازدهار بمكة المشرفة لتأخذ مكانها اللائق بها كأعظم وأفضل مدينة اختارها الله عز وجل لتكون مكاناً كريماً لبيته العظيم.

والله من وراء القصد..

كتب الاستاذ سمير عابد الشيخ في مجلة الاسواق تحليلاً جميلاً رائعاً عن البنوك السعودية يتضمن معلومات قيمه واحصائيات دقيقه تفصيلية سأحاول تلخيصها فى حدود الحيز المكانى.

أ- رؤوس الأموال: بلغ إجمالى ميزانيات البنوك السعودية خلال السنة الماضية ما يتجاوز (٤٠٧) مليارات ريال، أى انها زادت عن ضعف ميزانية المملكة العربية السعودية لهذا العام.

ب- الأرباح الصافية: بلغت الأرباح الصافية الإجمالية خلال السنة المالية ٢٠٠٠م حوالى (٨,٨) مليارات ريال، كما وصل إجمالى أرباح عمليات البنوك السعودية لنفس الفترة (٢٨,١٠) مليار ريال أى بزيادة ما نسبته ١٩٪.

جـ- ودائع العملاء: إجمالى الإيداعات لدى البنوك السعودية تجاوزت ما مقداره (٣٢٤) مليار ريال استحوذت البنوك العملاقة ما نسبته ٦٣٪ من إجمالى تلك الإيداعات، مع ملاحظة أن استفادة البنوك الكبيرة من ودائع العملاء غير المستغلة أكثر من استفادتها من العمليات الاستثمارية.

د- شرائح البنوك: صنفت البنوك السعودية إلى أربع شرائح:

البنوك العملاقة: الأمريكى - الأهلى - الراجحى - الرياض.

البنوك الكبيرة: البريطانى - الفرنسى.

البنوك المتوسطة: الوطنى - الهولندى.

البنوك الصغيرة: السعودى للاستثمار - الجزيرة.

وتوضح المؤشرات السابقه وتؤكد تميز أداء وربحية البنوك السعودية عن مثيلاتها الأمريكية والسويسرية، وهذا الأمر يحسب لبنوكنا كما يحسب لمؤسسة النقد العربى السعودى التى دعمت وساندت البنوك السعودية، كما لا يمكن إغفال وتجاهل دعم المجتمع السعودى القوى والمؤثر وإيداعاته الضخمة والبالغ مجملها(٣٢٤) مليار

ريال، ومعظمها إيداعات بدون فوائد، فتقاضى الفوائد يتعارض مع مفاهيم المجتمع الدينية والإسلامية.

وعلى ضوء تلك الحقائق الهامة والأرقام المذهلة الفلكية يحق لنا أن نضع التساؤل الهام والجوهرى ونقول، ماذا قدمت هذه البنوك للمجتمع مقابل ما حصلت عليه؟ وماهو الدور الإيجابى الذى قامت به حيال التنمية والتطوير؟ والجواب الواقعى لا شيء إطلاقًا. بحساب الأرقام والتى تفهمها البنوك نكتشف أنها لم تقدم شيئًا ذا قيمة. إذا فالمجتمع له عليها دين كبير وحقوق جمة وكثيرة، وذلك تجاه الدولة والمشاريع التنموية. نعود للغة ا لأرقام وبحسبة بسيطة نجد أن المودعين لو تقاضوا الفوائد والتى تتراوح نسبتها بين ٦٪ - ١٢ ٪، أى يصبح متوسط ما يجب دفعه للمودعين يصل لما بين (٢٠ - ٣٠) مليار ريال سنويا ومجمل هذه المبالغ أضيفت إلي ميزانيات تلك البنوك.

ولكى تسدد البنوك ما عليها من دين عام تجاه المجتمع والدولة فيجب أن تبدأ منذ الآن بل ومن اللحظة بوضع خطة تنموية تساهم بها مجتمعة وبصورة فعالة وإيجابية فى دعم مشاريع الدولة وتنمية وتطوير البنية التحتية، كما يتوجب عليها دعم مشاريع تدريب وتأهيل الكوادر السعودية الشابه بإنشاء مراكز تدريب عالية المستوى من الناحية العلمية والتدريبية والتقنية، فتساهم فى توطين وسعودة الوظائف فى القطاعين كمساهمة من البنوك تجاه الدولة والمجتمع وهو دين لابد من سداده.

الشاطرة تغزل

في الأيام الخوالي «الطائف» كان يعتبر المصيف الأول والمفضل والأقرب لأهل مكة، وكانت الأسر المكية تقضي أشهر الصيف في قلب المدينة الخلابة الشهيرة بعطر وشذى وردها الطائفي. والشهيرة بفواكهها رمان ليه، وبرشونى الشفاء. وعنب القيم، وبمناطقها المحيطة، مثل الشفاء، وادى محرم، الوهط والوهيط وغدير البنات، وغيرها من الأماكن والمتنجعات الجميلة. والأسر المكية المسافرة للطائف كانت تتكبد كثيراً من وعثاء السفر، فالانتقال من مكة للطائف يتم بواسطة السيارات الكبيرة، وكانت الأسر المكية تأخذ معها في رحلتها الصيفية للمصيف كل احتياجاتها ومتطلباتها المعيشية والحياتية من مفروشات وفرش وأدوات المطبخ، والملبوسات وغيرها، وكانت تأخذ كل ذلك معها وتحمله في السيارات الكبيرة والتي تنتقل للطائف عبر الطريق القديم مرورا بالشرائع والزيمة والسيل الصغير والكبير واليمانية وصولاً إلى الطائف.

تداعت تلك الصور والمشاهد في ذاكرتي ومخيلتي ومعها الكثير من الحكايات والذكريات، ففي أواخر الستينات وأوائل السبعينات الهجرية بعد الألف والثلاثمائة قصدت الأسرة مدينة الطائف، وكعادتها السنوية لقضاء أشهر الصيف والعودة بعد انقضاء الإجازة لكن الوالد رحمه الله صمم هذه المرة على البقاء بالطائف والاستقرار بها، وكان له ما أراد، واستقرت أسرتنا الصغيرة المكونة من الوالد والوالدة ومني بالطائف، وعاد عمي شقيق الوالد لمكة مع بقية أفراد الأسرة الكبيرة، واتفق الإخوان أن يتولى عمي الإشراف على تجارة الأسرة بمكة، وأن يقوم والدي من مقره الجديد بالطائف بمتابعة جميع الأعمال التجارية والاتصال بالشركات الأجنبية المتعامل معها.

واستأجر الوالد محلاً تجاريًا «بخان الأوقاف» بوسط مدينة الطائف بعد أن أقنعه صديقه «محمد بصراوي» المسؤول عن إدارة الأوقاف بالطائف، ولاقت تلك الفكرة

قبولاً واستحسانًا من الولد، خصوصًا وأن فكرة الاستقرار بالطائف لها هدف آخر وهو العمل بجدية لإكمال العمارة التى بدأها قبل سنوات فى حى السلامة ولم نكتمل بعد، فاجتمع الهدفان واستقرت الأسرة الصغيرة بالمدينة الجميلة الهادئة. وكان الوالد مهيب الطلعة قوى البنية شديد المراس مع حدة فى الطباع تمازجها طيبة شديدة وقلب أبيض ويتغلف ذلك بعنفوان وشدة تبدو ظاهرة، وكان له ولع كبير بالقراءة والإطلاع المكثف، وقد ورثت عنه مكتبة كبيرة تحتوى علي كتب الأدب والتاريخ والشعر، وبالمناسبة كان الوالد قارضا للشعر وله مجموعة شعرية كبيرة. بعضها نشر بالصحف المحلية وبعضها بحوزتى.

وكان الوالد حريصًا أن ينقل لى تجاربه وخبرته، وكان يغرس فى نفسى، بشتى الطرق والوسائل حب العمل والتفانى فيه وإجادته والجد والصبر على المكاره، وكان يوكل إلى أعمالاً وواجبات يفرضها على والقيام بها تفوق طاقة طفل لا يتعدى الثانية عشر، وكنت أرى أن هذه الواجبات المفروضة على والمطلوب منى القيام بها مرهقة ولا تتناسب مع صغر سنى وحداثتى، ولكن لا مفر من أدائها والقيام بها، فالاستيقاظ مبكراً والذهاب لإحضار متطلبات الإفطار بعد أداء صلاة الفجر، ثم شراءمتطلبات واحتياجات طعام الغداء والعشاء من لحوم وخضار وغيره، ومن ثم التوجه للمدرسة سيراً على الأقدام من مقر السكن، فى حى السلامة إلى المدرسة والكائنه فى حى الشرقية، والعودة ظهراً مسافات طويلة أقطعها يومًا ذهابًا وإيابًا، بالإضافة إلي مشاق أخرى.

وفى نفس الوقت الإشراف على المحل وعماله، والعمال كان يطلق عليهم لفظ «الصبيان» ومفردها صبى، أما لفظ عامل أو خادم فلم يكن متداولاً. خان الأوقاف كان يضم تجاراً من مكة ومحلاتهم تجاور محلنا، وأذكر منهم حسين بكرى قزاز، وكان له محل صغير لأدوات التجميل والعطورات، عبد الرحمن أبو راشد، ومحمد على قربان والأحذيه تجارتهم بجميع أنواعها، هاشم ناقرو وكان متخصصًا فى بيع الساعات خاصة ساعات جوفيال، محمد مرداد وتجارته متنوعة حسين قطب محمود صواف، عبد الرحيم صديقى، القطان، البوقرى غيرهم والمجموعة كانت متقاربة

ومتعاونة. وفي ما يتبقى لي من فراغ، وكان نادراً، كنت أقضيه في الجلوس عند طرف دكان الشيخ محمد علي قربان، وكان رجلاً طيبًا ومحبًا للجميع.

وذات يوم وكنت جالساً كعادتي في مكاني الأثير أسمع وسأتمتع بما يقصه ويحكيه من خيالات جميلة مجنحه إذا به يتوقف عن السرد القصصي ويقول موجها حديثه نحوي، «اسمع يا بني سأحكي واقص عليك قصة حقيقة حدثت أيام العهد العثماني، تلك الدولة أو الخلافة الإسلامية التي حكمت وسيطرت على معظم العالم العربي والإسلامي، وفتوحاتها امتدت إلى بلدان أوروبا، ومدن الحجاز كانت من ضمن المدن التي سيطرت عليها وامتد نفوذها إليها، وكان المتصرف التركي الذي يحكم الحجاز ويطلق عليه لقب القائم مقام ويدير أعماله من مقره في مكة المكرمة. وقد بلغ أسماعه وصول باخره تجارية رست بميناء جدة، فما كان منه إلا أن أرسل أحد الضباط العاملين تحت إمرته «لجدة» ليستطلع له الأمر ويجلب له المعلومات عن الباخره الراسية، وكانت الرحلة من مكة إلي لجدة تستغرق أيامًا، فوسيلة النقل المتاحة الدواب «الخيل والجمال والحمير»، المهم أن الضابط الموفد عاد من رحلته ليقول للمتصرف التركي رسالة موجزة كلماتها محدودة لا معنى لها: «نعم سيدي الباخرة وصلت ميناء جدة وهي راسية الآن» ولم يزد، فما كان من المتصرف التركي إلا أن جمع جنوده واختار واحداً منهم توسم فيه النباهة والفطنة وأرسله في المهمة الاستطلاعية، وعاد الجندي المكلف بعد عدة أيام ليخبر «المتصرف التركي» بمعلومات كاملة شامله عن السفينة الراسية، اسمها، جنسيتها، اسم القبطان وعدد الملاحين ومقدار حمولتها، ونوعية الحمولة من البضائع والمواشي، وعدد الركاب وجنسياتهم ومتى رست السفينة بميناء جدة ومن أي ميناء قدمت وإلى أي ميناء ستبحر ومتى ستغادر ميناء جدة.. معلومات كاملة استمع إليها المتصرف التركي من موفده الجندي، فما كان منه إلا أن استدعى الضابط وجعله يستمع «للجندي» ثم قام «المتصرف» وانتزع النجمات التي تتحلى بها سترة الضباط ووضعها على هامة وسترة الجندي، وقال للضابط أنت لا تستحق هذه الرتبة والمرتبة الذي يستحقها حقًا وعن

جدارة هو هذا الجندى، وقد استمتعت بتلك القصة بداية ونهاية مبهوراً بمضمونها وحبكتها ومعانيها الجميلة ونهايتها الحلوة.

عادت ورجعت بى الذاكرة للخلف سنوات، وتذكرت تلك الحكاية بكل صورها ورموزها وشخوصها بعد تعرض صديق لى لموقف ولقصة مماثلة حدثت له، وقلت لصديقى معقبًا ألا تذكر المثل الذى يقول «أرسل مرسول ولا ترسل فلوس» والمثل معناه ومضمونه أنه لقضاء حاجتك، واعمالك أرسل الإنسان الفطن النبيه حتى وإن لم تكن معه نقوداً فهو بذكاءه ونباهته وفطنته سيتكفل بقضاء حاجتك والعكس وأضاف صديقى قالوا قديمًا «الشاطرة تغزل برجل حمار» فالشاطرة تستخدم كل الوسائل المتاحة والطرق والسبل لتجويد الغزل حتى وإن لم يكن لديها مغزل.

دنيا الناس

عشت مع نفسى وذاتى لحظات كنت أحاول فيها الإجابة على التساؤلات التى تلحّ على وتتراقص أمام ناظرى لتبرير وتفسير ابتعاد صديقى عن الناس ودنياهم وطبيعة عمله تفرض عليه إحاطة نفسه بالناس والأصدقاء والزملاء، ولكنه يكتفى منهم باللقاءات العابرة و تلك التى تتم صدفه وعلى فترات متباعدة أو تحتمها ظروف العمل واحتياجاته وعادة يفضل الاتصالات الهاتفية المختزلة والسريعة لانجاز المهم من أعماله دون الموجهة.

فهل هناك سر دفين فى كل هذا التحفظ والاحتياط والابتعاد عن الناس ورسم الحدود معهم. أم هى عدم ثقة بالآخرين؟

أم هى رغبة فى الانعزال والانطواء والانفراد بالذات يناجيها وتناجيه.. أم أن الابتعاد عن الناس ودنياهم هدفه البعد عن صخبهم وضجيجهم والحاحهم المنفر والمرتبط بتحقيق أغراض ذاتية ومصالح شخصية وخاصة ذات مرة وجدت نفسى وبصورة غيرشعورية مندفعًا لاقتحام خلوته ووحدته وفرضت نفسى عليه وفجرت تساؤلات الكثيرة أمامه وطلبت منه وبدون وجه حق تفسيراً لحالة الابتعاد والانطواء التى تلازمه؟ لكنه التزم الصمت الرهيب فهممت بالاستئذان منه ولكن صوته يأتى إلى مسامعى: لا تغادر.. سأحكى قصة حقيقية عشت أحداثها وملابساتها وظروفها لعلك تعرف منها لماذا ابتعد عن دنيا الناس وليس عن الناس، وكما تعلم أنني كنت أعمل فى أحد العواصم ممثلاً لبلدى وكنت حينئذاك أشغل مركزاً مهمًا له علاقة وثيقة بمتطلبات الناس واحتياجات دنياهم وكانت أعمالنا ووظائفنا مرتبطة بشخصية كبيرة تشغل وظيفة عامة، وكنت أرى جموع الناس بكل فئاتهم ومراكزهم تتدافع وتتزاحم لزيارته فى داره الفسيحة ومع دورة الزمان، أحيل الرجل الكبير صاحب المقام والمنصب الرفيع العالى إلى التقاعد «المعاش» وبدأ الناس يتحولون عنه وتتراجع أقدامهم عن داره الفسيحة وصالونه العامر أقصد الذى كان عامراً ذات يوم، وزرته مرة بعد إحالته للمعاش بعد فترة وجيزة فوجدت الدار الفسيحة وصالونه العامر يلفه

الصمت الرهيب ويغلفه الهدوء والسكون الذى يحيط بالمكان، وكان صديقنا وحيداً فريداً فى صالونه الواسع الأرجاء وليس معه غيرى وقال لى ودمعة حزينة تجمدت فى عينيه لقد ذهب الجميع مع ذهاب السلطة والسلطان والمكان الذى كان يعج بالناس أصبح خاليًا وأصبحت وحيداً كما ترى حتى أجراس التليفونات خفتت وصمتت عن الرنين.

وبعد أن فرغ صديقى من رواية أحداث القصة التى مرت عليه، لزم الصمت كعادته فقلت له من أجل ذلك تبتعد عن الناس ودنياهم وبرنة حزينة قال ليس الأمر كما تتصور، أو تتخيل أو تقدر ولكن أحاول وبقدر المستطاع الابتعاد حتى لا أصدم بحقيقة الناس التى اتصورها كجدار الوهم.

الشيخ على الطنطاوى رحمه الله كان داعية إسلامية من الطراز الأول، حديثه يخاطب العقول بموضوعية رقيقة أخاذة ويخالط القلوب والوجدان بعفوية وعذوبة تتداعى معها المعانى والمشاعر الوجدانية وصوته ينساب ردا على سائل حول رحلة البشر فى الحياة الدنيا من البداية إلى النهاية والذى لفت انتباهى تشبيهه لرحلة البشر بأنها مثل راكب الطائرة من محطة لأخرى، شركة الطيران تصرف له تذكرة مقابل قيمة مادية تخوله مقعدا يجلس عليه من مقاعد الطائرة لاستعماله خلال تلك الرحلة، فإذا قام احد الركاب المسافرين بتزيين وتجميل ذلك المقعد والصرف عليه لجعله أفضل وأجمل المقاعد فى الطائرة وهو الذى سيتركه بعد حين وبعد فترة وجيزه لراكب أخر فإن كل ما صرفه وانفقه كان هباءً منثوراً مثلة كمثل من ينفق ماله وجهده على دنياه وملذاته وشهواته وينسى أو يتناسى آخرته.

فى تلك اللحظات الوجدانية تذكرت قول الحق عز وجل مصورا لنا يوم أن نلقاه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام].

وفى سورة مريم يقول الحق عز وجل ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ .

أنها نقلة كبيرة من موقف إلى آخر ومن مشهد إلى مشهد ومن حياة إلي أخرى ويقول الأستاذ سيد قطب شارحًا ومفسراً الآية الكريمة، ليس معكم إلا ذواتكم مجرده ومفردة كذلك تلقون ربكم أفراداً لاجماعة كما خلقكم أول مرة وتركتم كل شيء من مال وزينة وأولاد ومتاع وحياة وسلطان كله هناك متروك وراءكم ليس معكم شيء منه ولا تقدرون منه على قليل أو كثير. وغاب عنكم كل ما كنتم تدعونه من شتى الدعاوى ومن هؤلاء الشركاء وما لهم من شفاعة عند الله أو تأثير فى عالم الأسباب. أنه المشهد الذى يهز القلب البشرى هزا عنيفًا وهو يشخص ويتحرك،

ويلقي ظلاله على النفس ويسكب إيماءاته من القلب ظلاله المرعبه المكروبة وإيماءاته المرهوبة ويكمل الأستاذ سيد قطب شرح وتفسير الآية الأخرى ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾. فعين الله على كل فرد وكل فرد يقدم وحيداً لا يأنس بأحد ولا يعتز بأحد، حتى روح الجماعة ومشاعر الجماعة يجرد منها فإذا هو وحيد فريد أمام الديان.

لا أدرى ماذا أعددنا لهذا الموقف العظيم والمشهد المرعب الرهيب يوم نلقى الديان فرادى حيارى متجردين منفردين إلا من أعمالنا وما قدمت أيدينا فمن قدم خيراً يلقى خيراً ومن قدم غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.. فماذا نحن فاعلون؟! ويا أمان الخائفين.

القى الدكتور عبد القادر طاش فى مقاله الرائع «الإعلام والانتفاضة» مجموعة من الأحزمة الضوئية على الإعلام العربى وفضح وكشف قصوره وتراخيه تجاه الانتفاضة التى تمثل روح الشعب الفلسطينى الذى يجابه ويأطفاله الأبرياء العزل من السلاح إلا من حجارة يقذفون بها أبشع عدو عرفه التاريخ طفل صغير يحمل فى قلبه إيمانه وعقيدته وفى يديه حجارته ومقلاعه يواجه بها الدبابة وطلقات الرصاص الحى، وبعد مجىء «شارون» مجرم الحرب أصبح الطفل يواجه ترسانة الأسلحة الجهنمية التي تصب عليه وعلى شعبه الفلسطينى النار والحمم أرضا وبحرا وجوا بوحشية وشراسة، وكبار وجبابرة العالم من حولنا لا يسمعون ولا يرون ولا يتكلمون وإذا تكلموا وعلى مضض فإنهم يعكسون المواقف ويقلبون الأوضاع ويغيرون الحقائق فاللوم والإدانة من نصيب أطفال الانتفاضة أما أفاعي الإجرام وقتلة الأنبياء والشعوب فهم على الحجر، وقصة الذئب والحمل تتكرر يوميًا والأصوات كل الأصوات تطالب الحمل بوقاحة متناهية بالخضوع.

يا إخوة الإسلام والعروبة تحركوا وحركوا الإعلام العربى ليتفاعل مع الانتفاضة ويفضح ما يحاك ويخطط لقهر الشعب الفلسطينى واجهاض الانتفاضة، فلنعمل سويا ونفعل إعلامنا ليكون فى المقدمة بطرق ومسارات يحتمها علينا إسلامنا وعروبتنا وهى الحد الأدنى لما يجب فعله وعمله.

* أن تخصص الصحف العربية والإسلامية صفحة يومية للانتفاضة لشرح أهدفها واستراتيجيتها وأساليب دعمها.

* تحريك دوافع الخير والعزة فى الإنسان المسلم والعربى وتحفيزه ودفعه لتبنى اهداف الانتفاضة ولتصبح هدفه وغايته التى يؤمن بها بعد أيمانه بالله عز وجل ويسأله التأييد والنصر لعباده المجاهدين.

* التذكير والتركيز على مذابح العدو الصهيونى البشعة التى ارتكبها فى دير ياسين وصبراوشاتيلا والقدس والخليل وغيرها.

* اعداد نصوص مكتوبة وبعناية فائقة باللغات الحية ليشارك ويسهم بها القارئ العربي والمسلم وبعهثا عبر كل وسائل الاتصال لرؤساء دول العالم وللمنظمات الدولية والعالمية فاضحًا الأساليب الصهيونيه وشارحًا وموضحًا المعاناة والاضرار الكثيرة التى طالت الشعب الفلسطينى من قهر وظلم وتشريد وتهجير.

* استخدام الانترنت بدرجة أكبر فى مطالبة المجتمعات العالمية بوقف نزيف الدم الفلسطينى وحمايته من الغطرسة والعدوان الصهيونى.

وهناك أمثلة متشابهة ومتقاربة فى المضمون والمعنى تحمل كلمات بسيطة ومختصرة مثل «ادفع ريال تحمى طفلا فلسطينيًا» و«اقطع من مصروفك ريالاً واحدا تنقذ فلسطينيا» وغيرها من العبارات المؤثرة والمحركة للضمائر والوجدان المهم أن تفعل ونعمل ونقدم ولو أمرا بسيطاً وميسورا بما يحتمه علينا الواجب والضمير والأخلاق والحق والعدل.